

البحساز الوزارى



كان بوجه الاهتمام فى تأليف الوزارات الى (الانسجام) دون غيره فى هذه العاصمة كلما حل موسم من مواسم التشكيلات الوزارية . وكان الفشل يرافق هذا الاهتمام على الاغلب فى جميع الوزارات العراقية اذا ضمت الوزارة جناحيها على رجلين يريان نفسيهما شأنا ، او يعرفان فى ذاتيهما شيئاً من القوة .

وكان - من اجل ذلك - يروق لرؤساء الوزارات ان يختاروا الضعفاء من الموظفين ومن بحكمهم يحشون بهم مراكز الوزارات تفادياً من نقد المعارضة وطعنها على الوزارة بعدم الانسجام ، هذا الطعن الذى كان يبدو انه الطعن الخفيف الوحيد !..

ونشأ من ذلك ان فتح الله على المعارضة بطعن جديد .. هو الطعن على الوزارة بضعف العناصر ، وبكون الوزارة اقرب الى الوظيفة منها الى (المركز السياسى) .

هذا الذي كان .. وانا لنستخلص منه ان نقد الجهاز الوزاري حتى الآن يتنقل بين دائرتين :

الاولى : عدم الانسجام .

وعيب الوزارة في منطق هذا النقد هو (التنافر) المحل بعملها وما يلزم ذلك من ضعف التضامن ، ومن انصراف كل عضو في الوزارة الى شؤونه الخاصة مستفيداً من (المركز) المحدود المدة الى أبعد حد .

الثانية : ضعف الوزراء .

وعيب الوزارة في منطق هذا النقد يشير الى الشلل العام الناجم من عدم شعور الوزير بالمسؤولية وعدم اشتراكه فيها باكثر مما يوحى به اليه الوزير القوي . ويؤول هذا بطبيعته الى حصر المسؤولية في فرد فتضيع الفائدة المقصودة من تعدد الوزارات لتمشية الاعمال وخدمة الصالح العام .

هذا فضلاً عما يستلزم ذلك من بعض خلائق الدكتاتورية الذميمة في بلد وعصر ديمقراطيين .

بهذين (الطعنين) الاساسيين كان حتى الان ينحصر النقد على الوزارات السابقة ، وانا لنحجب في هذه (الدورة) من (التطور) المرتقي ان نرى شيئاً آخر غير هذا وذاك من قصور الوزراء و (قصرهم) عن (طول) الوزارة بالمعنى الذي يطمح اليه عصر مثقف ، وشعب واع يتطوع الى حياة أفضل ...

ولننظر في القوة التي تجب للوزير كيف يراها بعض الوزراء الى الآن ، وكيف يجب ان يروها على ضوء المقاييس الواقعية .

الوزير القوي - الى الآن - في نظر نفسه وفي نظر اكـثر عارفيه هو الذي يتسلح بلغة جافية ، وخلق صعب ، وأمية شاملة ، وبالتالي عاطفة مندفعة تدير ذلك وتسيطر عليه في علاقة الوزير بعمله وبين يراجعه في هذا النطاق ، لكن الوزارة من أطيان (ابيه) المتروكة ، وللكأن الناس من الرقيق الذي وقفه تراثه على خدمة تلك (الاطيان) ..!

وانني لأعرف وزيراً^١ نال شرف الوزارة في نوء من الانواء (التأخرية) ما زال يرصد للوزارة في كل دورة من دوراتها، وما يزال يشترك في ادارة السياسة العامة حتى في الازمات الصعبة ، وما يزال يلهو بمنصب لا يقل عن الوزارة في فترات بعده عنها .. ما يزال بدلل على هذا النحو لانه (قوي ..!) أي لانه يتسلح بلغة جافية ، وخلق صعب ، وأمية شاملة .. وبعاطفة مندفعة تدير ذلك كله وتسيطر عليه ، فاذا غضب او اهتز اتسعت عيناه ، وانتفخ منخراه وأدار لسانه بسباب لا يرتفع عما الف من لغته قبل ان يكون وزيراً ، وما اكثر ما يهدد من يغضب عليه بجرمانه من دخول (المؤسسة) العامة التي يحمي نفسه باسمها لكانها الاخرى من (أطيان) المرحوم ..!

وكم نصحه المشفقون عليه أن يُلين الصلب من خلقه بقياً على نفسه بعد ان كثر هراشه واستبان انه أضعف - حين يجد الجد - عن أن يغلب غلة على قمحـة ، ولكن هيئات أن يكون الصلب

(١) لا يذهب الى الذهن ان المقصود بهذا الوزير هو صالح جبر فصاح جبر لا يعاب بهذه الصفات التي هو بعيد عنها .

ليناً .. وقد كان ليناً فصلب ..!

وهذا وأمثاله عذرهم في ان يجاروا معارفهم بفهم معنى (القوة) في الوزارة او القوة التي توصلهم اليها كما رأينا ، فقد الفوا معنى القوة في الأحياء القديمة ، وعدة القوة في هذه الأحياء هذه الغلظة الملائمة لاختلاق الاقطاع والامية .

هذا نموذج للقوة التي ما يزال بعض الوزراء يراها اداة لحفظ (امتيازاته) ووسيلة الى ركوبه متن الوزارة ، وأماناً يحميه من دورة فلكها السائر .

ولا تطيب حياة في مثل التحرر الحاضر السائر بسرعة البرق تحت ظل هذه الافهام المنعكسة . بل لا بد في هذه الحال - وهي الحال الراهنة - من مجاراة الواقع بتفسير (القوة) تفسيراً يعطيها معناها الصحيح ، والقوة في الوزير هي رصانة الخلق وسعة الثقافة وسمو التهذيب ، ومعرفة المصلحة . وبالتالي اخلاص يسيطر على ذلك كله فيخضع له سلوك الوزير في مكتبته ، ونعني ما يتصل بهذا المكتب من مصالح البلاد فلا تؤثر عليه رشوة أو تستخفه عاطفة او يده ضغط او تزله واسطة في وداعة ورفق دون ضعف .

وعلى أساس المقابلة بين المعنيين في هذه الظاهرة من الظواهر التي يحتاجها الوزير نستطيع ان نخرج بموازنات كثيرة تظهر لنا البون الشاسع بين أوهام الطبقة الحاكمة وبين مطالب الوعي التي تنكشف عنها ضرورات العصر الحاضر يوماً فيوماً .

ومن ذلك يتبين لنا بوضوح ان الوقوف عند ضعف الوزراء وعدم الانسجام في فقد الجهاز الوزاري لم يعد كافياً ولا معبراً عن

التطلع الحقيقي لاصلاح هذا الجهاز الذي نعتبر اصلاحه أساساً قبل كل أساس في توجيه سياسته عامة مطمئنة لرغبات الشعب في الداخل والخارج .

وقد أصبح من المفروغ منه ان هذه الطبقة من الوزراء القدماء وبمن رشحهم الوزراء القدماء شبكة لا ترضي الرأي العام ولا تقدر على عمل جدي في اصلاح الانظمة وتطبيق القوانين ، باستثناء افراد قليلين في تلك (السلاسل) . وحسب الناس دليلاً على ذلك ، الاسطورة التي لا تصدق لولا انها حقيقة واقعة وهي : جوع اربعة ملايين ونيف - وهم سكان العراق حسب الاحصاء الجديد - في قطر خير غني كالعراق يتسع لثمانين مليوناً تمهد لهم اراضيه ومياهه وخيراتها أوسع السعة من النعمة والرخاء .

لذلك بات في نفوس الناس جميعاً ان اصلاح الجهاز الوزاري مفتاح للاصلاح العام الضامن للنهضة المطلوبة .

وان عزل الطبقة التقليدية الحاكمة من الوزراء امر لا يتم هذا الاصلاح بدونهم ، لان هذه الطبقة التي مارست الحكم ربع قرن دون ان تنفع البلاد برهنت على عجزها بالادلة التي اقنعت الجمهور بعجزها وبشيء آخر هو ارتباط مصالحها الخاصة بمصالح المستعمرين .

وبعد فالعراق يريد ان تطلع الوزارات القادمة من صفوف الشبان ذوي الكفايات الثقافية والوطنية . ولا نعرف شيئاً يحتاجه هذا الوطن كحاجته إلى إيمان ابنائه به .